تاريخ شعراء العربية

شعراء العصر العباسي الأول

علي بن جبلة العكوك



إعداد وشرح
لجنة التحقيق في دار القلم العربي

مراجعة وتدقيق
أحمد عبد الله فرهود



منشورات

دار القلم العربي بحلب

الطبعه الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

عنوان الدار

سُورِيَة - حَلَبْ - خَلفَ الفُنْدُقِ السِّيَاحِي

شارع هدى الشِعْرَاوِيْ

هاتف | ٢١٣١٢٩ | ص.ب |٧٨| فاكس ٢١٢٣٦١، ٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

نـبـذة عـنـه

هو أبو الحسن عليٌّ بنُ جَبلَة بن عبد ا لله الأنْباريّ ، المعروف بالعَكَوَّك ، وأصل أسرته من مدينة الأنبار (١) التي فتحها سيّدُنا خالد بن الوليـد رضـي ا لله عنـه ، وهـي بلـدة عراقيـة تُعرف اليـوم بالرَّمـادي، ومعنـى العَكَـوَّك : القصيـر السَّمين ، يقال إن الأصمعيّ لقّبه بذلك .

وُلِدَ العَكَوَّك في بغداد سنة /١٦٠/ ، أسود أكمـه (٢) ، فحـدَّدتْ آفتـه وِجْهته ، فصار يتردّد على حلقـات العلـم والأدب ، وكـانت لـه مَوْهبـة شـعرية فتفتّقَتْ ، فتوجّه بها إلى بعض القادة والوزراء يمدحهم ، وينال عطايـاهم ، مثـل أبي دُلَف العجْلي ، وحميد بن عبد الحميد الطوسي ، والد القائد محمد بن حميـد الذي قُتل في حرب بابك ورثاه أبو تمّام برائيّته الذائعة،والوزير الحسن بن سهل .

نهايته

كان العكوّكُ يغالي في مدح مَنْ يطمـع بعطايـاهم مُغـالاةً مُفْرطـة ، تبلـغ حدّ وصفهم بخصال ليست لهم ، ولاتنطبق عليهم ، وإنما هي من صفات ا لله عزّ

---

(١) وقيل : هو علي بن جبلة الأبناوي أو النبويّ ، من أبناء الشيعة الخراسانية .

(٢) أكمه : أعمى منذ ولادته .

وجلّ التي لاينازعه فيها – على وجه الحقيقة – منازع ، يقول العَكَوَّكُ في مدح أبي دُلف العجلي (واسم أبي دلف : القاسم بن عيسى) :

أنتَ الـذي تُـنزلُ الأيامَ منزلَها   وتنقلُ النَّاسَ مِنْ حال إلى حالِ
ومـامددتَ مدى طَرْفٍ إلى أحَدٍ   إلاّ قَضَـيْـتَ بـأرْزاقٍ وآجـالِ

فالذي يتصرّف بالزمـان والمكـان ، وبالنـاس ، هـو الله سبحانه ، وهـو الخالق الرازق ، المحيي المميت ، ومَن نَسَب شيئاً من ذلك إلى غير الله تعالى فقـد أساء وأخطأ ، وجانَب الحقّ ، والعَكَوَّكُ بهذه المغالاة المستنكرةِ قد سبقَ شـاعراً مَغْربياً عُرِفَ بها ، وهو ابن هانئ الأندلسي الذي قال في المعزّ العُبَيْدي :

مـا شـئـتَ ، لاماشاءتِ الأقدارُ   فاحكمْ فأنتَ الواحدُ القهَّارُ

ولم يكن الخليفةُ (١) ليذرَ العَكَوَّك يدّعي مـا يشـاء ، فـأمر بقتله سنة /٢١٣ أو ٢١٤/ هـ .

إجادته الشعر

أسلوب العكوّك مطبوع ، فصيح الألفاظ ، متين التركيب ، متصرّف في المعاني ، مع سهولة وحُسْن صناعـة ، ولم يقـف عنـد المـدح فقـط ، إذْ لـه رثـاء ووصف وغزل .

---

(١) هو المأمون بن الرشيد .

مِدْحتُه في أبي دلف

كان العكوّك في أَوْج طموحه إلى الشُّهْرة والكَسْب ، إذْ أوقع أبو دلف العجلي بثائر متمرّد على الخلافة العباسيّة اسمه قرقور ، فدخل عليه العَكَوَّكُ بهيئة رَثّة ، في جملة مَنْ دخل من الشعراء ، وألقى رائية بديعة في مدحه وتصويره خصاله . أوّلها :

ذادَ وِرْدَ الغَيِّ عَنْ صدَرِهْ   فارعوى واللَّهْوُ من وَطَرِهْ (١)

وفي رأي ابن المعتز أنّ هذه القصيدة ، أو أبياتاً منها ، كانتْ سبب غضب المأمون على العكوَّك ، قال ابن المعتزّ : لما بلغ المأمون قول علي بن جبلة في أبي دلف :

كلُّ مَنْ في الأرضِ من عَربٍ   بين باديةٍ إلى حضَرِهْ (٢)
مستعيرٌ منك مَكْرُمَةً   يَكْتَسِيها يومَ مُفْتَخرِهْ

استشاط من ذلك وغضب ، وقال : يزعم أنّا لانعرف مكرمة إلاّ مستعارة من أبي دلف ، وطلبه فهرب إلى الجزيرة ، فكتب في طلبه فحُمِلَ إليه ، فلّما صار بين يديه قال : أنتَ القائل للقاسم بن عليّ (أبي دلف) :

كلُّ مَنْ في الأرضِ من عَربٍ   بين باديه ومحتضره
مستعيرٌ منك مَكْرُمَةً   يَكْتَسِيها يومَ مُفْتَخرِهْ

---

(١) ذاد : دفع . ارعوى : كفّ . وطر : حاجة .

(٢) باديه : سُكّان البادية . حضره : أهل المدن .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، عَنيتُ أشكال قاسم وأشباهه ، فأمّا أنتم فقد أتاكم الله بالفضل عن سائر عباده ، لأنّه اختّصكم بالفضل والنبوّة والكتاب والحكمة ، وجمع لكم إلى ذلك الخلافة والمُلْك . وما زال يستعطفه حتى عفا عنه .

وكما زعّم ابن المعتزّ أن المأمون نقم على بعض مافي هذه الرائية ، امتعض أيضاً حميد عن عبد الحميد الطوسي من مغالاة العكوَّك ، وقال له إذْ دخل عليه لينشده : وما عسيتَ أنْ تقول فينا ؟ وهل أبقيتَ لأحدٍ مدْحاً بعد قولك في أبي دلف :

إنّما الدُّنْيا أبو دُلَفٍ … بينَ مبدَاه ومحتضَرِهْ
فـإذا ولّى أبو دلفٍ … ولّت الدنيا على أثَرِهْ

فقال علي بن جبلة العَكوَّك : أصلحَ اللّهُ الأمير ، ما قلت فيكَ أحسن .
قال حميد : ماذا قلت ؟ قال العكوّك :

إنّما الدُّنْيا حُمَيْدٌ … وأيـاديـه الجِسامُ
فـإذا ولّى حُمَيْدٌ … فعلى الدُّنْيا السَّلامُ

الـرائـيّـة

تبدأ القصيدة بذكر الشَّيْب والغزل ، مقلّداً غيرَه من الشعراء فيقول :

ذادَ وِرْدَ الغَيِّ عنْ صدَرِهْ … فارعوى واللّهْوُ مِنْ وَطَرِهْ (١)
وأبـتْ إلا الـوقـارَ لـه … ضحكاتُ الشَّيْبِ في شَعَرِهْ (٢)

---

(١) الوطر : الحاجة . ردّ الضلالة من حيثُ أتتْ ، وكفّ عن اللهو ، مع أنّ نفسه تطلبه ، والورْد : إتيان الماء . والصدر : الرجوع منه .

(٢) بيّن أنّ سبب عزوفه عن طلب الملّذات هو نزول الشيب به .

نَدَمي أنّ الشبابَ مضَى لم أبلِّغه مدى أشَرِهْ (١)
وانقضتْ أيّامُه سَلَماً لم أهِجْ حَرْباً على غِيَرِه (٢)
حُسِرَتْ عنّي بشاشتُه وذوى اليانعُ من ثمرِه (٣)
جارتا ليس الشبابُ لمنْ راح محنيّاً على كِبَرِه
طرقَتْ تَلْحَى فقلتُ لها : مَذْهبٌ ما أنتِ مِنْ سُوَرِه (٤)

ثم يصف رحلته إليه ، وما وقع له من مصاعب وهو يتجشّمها ، وبعد ذلك يصل إلى مديحه :

دعْ جَدا قحطانَ أو مُضَرٍ في يمانيهِ وفي مُضَرِهْ (٥)
وامتدحْ من وائل رجلاً عَصَرْ الآفاقِ من عُصُره (٦)
المنايا في مقانبِهِ والعطايا في ذَرا حُجَرِهْ (٧)
خَضَمَ الدنيا بنائلِهِ وأقال الدِّيْنَ مِنْ عُثَرِهْ (٨)

---

(١) أشره : ترفه وبطره .

(٢) غِيَرَه : أحداثه المتغيّرة ، أحواله .

(٣) ذوى : ذبل . (٤) تلحَى : تلوم وتعنّف . السُّورة : المنزلة .

(٥) جدا : عطاء .

(٦) عصر الآفاق : ملجأ . غبار . يريد أن أهل الأرض كلّهم من عشيرته . وهذه كناية عن منعَتهِ .

(٧) المقانب : أكفّ الأسود . ذار : فناء الدار .

(٨) خضم : أعطى . نائل : عطاء . أقال الدين من عُثره : أنهض الدين من عثرته بقتال أعدائه وروي : هضم : أي وَسِعَ .

مَـلِكٌ تـنـدَى أنـامِـلُهُ كابتسام الرَّوْضِ عن زَهَرِهْ (١)
مُـسْـتـهِـلٌ عن مواهبِهِ كانبلاج النَّـوْءِ عَـنْ مَطَرِهْ (٢)
عقـــدَ الجِدُّ الأمورَ بهِ حيـن لـم يـنـهَضْ بمتَّعِرِهْ (٣)
فـكفاها واسـتـقلّ بها لم تَصِفْ وَهْنَاً قُـوى مَرِرِه (٤)
جـبـل عَـزَّتْ مناكبُـه أمنتْ عـدنــانُ في ثُـغُـرِه (٥)
إنَّـمــا الـدنيا أبو دُلَفٍ بيــن مَبــداه ومُحتضَــره
فــإذا ولّى أبــو دُلَــفٍ ولَّــت الــدنـيــا علـى أثَرِهْ

ثم يعرض لإخماد أبي دلـف تمـرُّدَ الثـائر قرقـور ، فيتحـدّث عـن الجيـش وعبوس الخيل ، وقِرى الطير من جثث الأعداء .. يقول :

يا دواءَ الأرضِ إن فسدتْ ومجيرَ اليُسْرِ من عُسُرِهْ
رُبَّ ضافي الأمْنِ في وَزَرٍ قد أبَتَّ الخوفَ في وَزَرِهْ (٦)
وزحـوفٍ في مــواكــبِـه كصياح الحَشْرِ في أمَـرِهْ (٧)
زرتَهُ والخيلُ عــابِـسَــةٌ تَحمِلُ البُؤسَى إلى عُقُرِهْ (٨)

---

(١) تندى : تجود .

(٢) مستهلّ : متدفق . انبلاج النّوْء عن مطره : سقوط المطر بحلول أوانه .

(٣) متّعر : من الوعورة . (٤) مرَر : جمع مِرَّة ، وهي القوّة . وهنْ ضعف .

(٥) منكب الجبل : أعلاه . كمكان الكتفين عند الإنسان . الثُغُر جمع ثَغْرة ، وهي المكان المتاخم للعدوّ .

(٦) ضافي الأمن : يعيش في أمن وريف . وزر: ملجأ.

(٧) أمَره : خلقه الكثيرين . (٨) عُقره : داره ، أو وسط داره .

خارجاتٍ تحت رايـتِـها   كخروج الطَّير مِنْ وُكُرِهْ
فـأبحْتَ الليــلَ عَقْوَتَــهُ   وقَرِيْتَ الطيرَ مِنْ جَزَرِهْ (١)

وأسلوب القصيدة بارع ، ولم يكن العكوّك قبلها ذا شُهْرة واسعة ، ومِنْ هنا ساورت الرِّيْبة أهل المجلس الذين كـانوا عنـد أبـي دُلَـف ، وكـانت ملابـس الشاعر رثّة ، وعمـره في مُبْتَدَئِـه ، فلّمـا أحسّـن منهـم ضعـف الثّقـة في صناعتـه الشعرية وعَزْو كلامه إليه طلبَ إليهم أن يمتحنوه ، فقالوا إذاً صِفْ لنا فرس أبي دلف ، فسألهم أن يبعثوا معه بعض من يثقون به . ففعلوا، فقال له – ومرّ بنا أنّ العكوك كان أعمى : أين الفرس ؟ فأوصله إليه ، فجعل يتحسّسه بيده ، ثم قعد وأملى عليه قصيدته :

رِيْعتْ لمنشورٍ على مَفْرِقهِ   ذُمَّ لها عَهْدُ الصِّبا ثُمَّ انْتَسبْ

وهي قصيدة فيها غريبٌ كثـير ، وإجـادة لوصـف الفـرس . لكـنّ رائيّـة العكَوَّك ذاعتْ ، ونال بها من أبي دلف عطايا وافرة ، وقال عبد الله بن المعتزّ : لقد سـارتْ هـذه (الـرائية) في أبي دلـف سَيْرَ الشـمس والرِّيـح . وقـال فيهـا أيضاً : (هي) القصيدة الغرَّاء التي سارت في العرب والعجم .

العكوّك ينسجها على منوال قصيدة لامرئ القيس

قال خلف بن محمد الطّائي للعكَوَّك : عارضْتَ أبا نواس في قصيدته :

أيُّها المنتابُ من عفُرِهْ   لستَ من ليلي ولا سَمَرِهْ

(١) العَقْوة : المكان الفسيح أمام الدار : الجزَر : اللحم يريد أشلاءه .

فاستنكر العكوَّك ، وقال : إنّما عارضْتُ امرأ القيس في قوله :

رُبَّ رامٍ مِنْ بني ثُعَـلٍ　　　مُخْرِجٍ كفَّيْه مِنْ سُتَرِهْ

عبد الله بن طاهر ينقم عليه مبالغته

مرَّ بنا استنكار المأمون وحميد الطوسي لمبالغة العكوّك حين جعل الدنيا أبا دلف ، فإذا ذهبَ ذهَبتْ ، وليس البشر - كل البشر - إذاً شيئاً . وممن أنكر عليه غلوّه أيضاً عبد الله بن طاهر ، فعندما ذهب إليه العكوّك ليمدحه رفضَ أن يستمع إليه ، وقال له : ألسْت القائل ؟ : ((إنما الدنيا أبو دلف)) ... قال : بلى . قال : فما الذي جاء بك إلينا ، وعدل بك عن الدنيا التي زعمتَ ؟ ارجعْ من حيث جئت . فعاد العَكَوَّك ومرّ بأبي دُلَف ، وأعلمه بالخبر ، فأعطاه حتى أرضاه .

ونرى العكَوَّك يعرّض بعبد الله بن طاهر ، فيقول :

أبو دُلَفِ الخيراتِ أنْدَاهُم يَدا　　　وأبسطُ معروفاً وأكرمُ مَحْتِدا (١)
تُراثُ أبيه عن أبيه وجدّه　　　وكلّ امرئ يجري على ما تعوّدا (٢)
ولستُ بشاكٍ غيرَه لنقيصةٍ　　　ولكنّما الممدوحُ مَنْ كان أمْجَدا

---

(١) أندى : أكرم . محتد : أصل .

(٢) أخذ المتنبي هذا المعنى فقال :

لكلّ امرئٍ من دهرِه ما تعوّدا　　　وعادةُ سيف الدولة الطّعْنُ في العدا

العكوّك يحتجب عن أبي دلف

نال العكوّك من أبي دلف خاصّة مالاً يكفيه مدى حياته ، ويزيد ، فأراد – وخطرَ في بالـه مـا يخطر في بـال النسـاء أحيانـاً مـن حـبّ استماع كلمات أزواجهنّ في التعلّق بهنّ – أراد أن يحتجب عن أبي دلـف لبعـض الوقـت لـيرى ماذا يصنع ، فأرسل عندئذ أبو دلف أخاه معقـلاً إلى الشـاعر قـائلاً : إن الأمـير يقول لك : لَمَ هجرْتَنا وقعدْتَ عنا ؟ إنْ كنت رأيتَ تقصيراً فيما مضى فاعذُرْنا فإنّا نتلافاه في المستقبل . فكتب إليه :

هـجـرتُكَ لم أهجْرك من كُفْرِ نعمـةٍ وهل يُرتَجى نَيْـلُ الزيـادة بـــالكُفْـرِ
ولـكـنّـنـي لـمّـا أتـيـتـك زائـــراً وأفرطْتَ في برّي عجزْتُ عن الشكْرِ
فَـمِ الآنَ لا آتـيـــكَ إلاّ مـسلّمـــاً أزورُكَ في الشهرينْ يوماً أو الشَّهْرِ(١)
فـــإنْ زدتَـنـي برّاً تزيّدْتُ جفـــوةً فلا نــلـتـقي طولَ الحياة إلى الحَشْرِ

مدح الطوسي ورثاؤه

من ممدوحي علي بن جبلة القائدُ المحنّك حميد الطوسي ، وفيه يقول :

فأنتَ الغيثُ في السّلْمِ وأنتَ الموتُ في الحَرْبِ
وأنتَ الجامعُ الفـــارِ قُ بيــن البُعْـد والقُرْب
بكَ اللهُ تلافى الـنـــا سَ بعــد العَثْـر والنّكْب (٢)

---

(١) فَمِ الآنَ : فمن الآنَ .

(٢) العَثر : : التعثر . النّكْب : النّكَبات والمصائب .

وردَّ البيضَ والبيـضَ إلى الأغـماد والحُجْب (١)
بإقدامك فـي الحَـرْب وإطعامِـكَ في اللَّـزْب (٢)
فكمْ أمَّنْتَ من خَطْـبٍ وكم أيَّمْتَ مِنْ خِطْـب (٣)
تنـاهتْ بكَ قَحطـانُ إلى الغايةِ والحسَـبِ
ففاتتْ شرَفَ الأحيـا ءِ فوت الرَّأسِ للعَجْبِ (٤)

ويموتُ حميد سنة /٢١٠/ هـ ، فـأحسَّ بفَقْـدِهِ ، إذْ كـان حُميـد يعطيـه على القصيدة الواحدة مائتي ألف درهم ،

فقال يرثيه بهذه العينيّة :

أللدَّهْرِ تبكي أم على الدهر تَجْزَعُ وما صاحبُ الأيام إلا مفَجَّعُ (٥)

والمطلع يذكرنا بمطلع أبي ذؤيب الهذلي :

أمِنَ المَنُونِ ورَيْبِها تتوجَّعُ والدَّهْرُ ليس بمُتْعَبٍ مَنْ يَجْزَعُ

ويمضي العكوَّك مصّوراً حُزنَه في ثوب من الحكمة :

تَعزَّ بمـا عـزَّيْـتَ غيركِ إنّهـا سـهـامُ المنايا حائـماتٌ ووُقَّـعُ
أصِبْنا بيومٍ في حُميدٍ لو انّـه أصَابَ عروشَ الدَّهْرِ ظَلَّت تَضَعضَعُ

---

(١) البيض (الأولى) : السيوف ، ردّها إلى أغمادها . والبيض (الثانية) : النسـاء ، ردّهـن إلى بيوتهن وأستارهّن ، . أزال الله تعالى الفوضى بحميد ، فوضعَ كل شيء في نصابه .

(٢) اللّزْب : الجَدْب والقَحْط .

(٣) خَطْب : مصاب . خِطب : زوجة ، أيّمها بقتل حليلها .

(٤) عَجْبُ الذَّنَب : آخر سُلامى من أسفل العمود الفقري .

(٥) تجزع : تضجر وتحزن . مفجّع : تنزل به الفجائع .

وأدَّبنا ما أدّب الناسَ قبلنا ولكنّه لم يَبْقَ للصبر مَوْضِعُ
حِمامٌ رماةُ من مواضع أمْنه حِمامٌ ، كذاك الخطْبُ بالخطب يُقْرَعُ (١)
لقد أدركتْ فينا المنايا بثأرها وحلّتْ بخطب وَهْيُهُ ليس يُرْقَعُ (٢)
نَعاءِ حُمَيْداً للسَّرايا إذا غَدتْ تُذادُ بأطراف الرماح وتُوزَعُ (٣)
وللمُرْهَقِ المكروبِ ضاقتْ بأمره فلم يدر في حوماتها كيف يَصنَعُ (٤)
وللبِيض خلّتْها البُعول ولم يدعْ لها غيرَه داعي الصباح المفزَّعُ (٥)
وكيفَ التقى مثوى من الأرضِ ضيّقٌ على جبل كانتْ به الأرضُ تُمنعُ (٦)
هوى جَبَلُ الدنيا المنيعُ وغيثُها الـ - مريع وحاميها الكميُّ المُشَيَّعُ (٧)
على أي شَجْوٍ تشتكي النفسُ بعدَه إلى شَجْوه ، أو يذخَرُ الدمعَ مَدْمَعُ (٨)
ألمْ ترَ أنَّ النفسَ حال ضياؤُها عليَّ وأضحى لونها وهو أسْفَعُ (٩)
وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤُها وأجْدَبَ مرعاها الذي كان يَمْرَعُ (١٠)
وقد كانت الدنيا به مطمئنّةً فقد جعلتْ أوتادُها تتقلَّعُ (١١)

---

(١) أبو دلف كالمنيّة ، ولكنّ الموت تسلّط عليه ، فأودى به .

(٢) الوَهْي : الضعف والفتق .

(٣) نعاءِ :اسم فعل أمر (قياسي) بمعنى انْعَ . تُوزَع . تزْجر ، أو تُرتَّبُ وتُصَفّ للحرب .

(٤) حوماتها : ساحاتها . (٥) كان يعين النساء اللاتي قُتل أزواجهنّ في المعارك.

(٦)مثوى : مقام ، يريد القبر .

(٧) المنيع : القويّ . المربع : المُنبت الخصيب . الكميّ : الشجاع . مشيّع : مؤيّد .

(٨) شَجْو : مُصيبة ، حزن ، يذْخَرُ : يدّخر .

(٩) أسفع : قاتم ، أسود .اكتأبت نفسُه فاسودّت لاسوداد الدنيا في عينها .

(١٠) أودى : ذهب . أجدب : أقْفر . يَمْرَعُ : يخصب بكثرة الكلأ .

(١١) اضطربت حياة العكوَّك بعد موت الطوسي ، و لم تعدْ مستقرّة .

بكى فـقـد ه روح الحيـاة كما بكى نداهُ النَدى وابنُ السبيل المُدَمَّـعُ (١)
وأيـقـظ أجفاناً وكان لـها الـكـرى ونامتْ عيونٌ لم تكنْ قبل تَهْجَـعُ (٢)
ولكنّه مِـقْـدارُ يـومٍ ثـوى بـه لكل امرئ منه نِهالٌ وَمَشْـرَعُ (٣)

وعاطفة الشاعر متدفّقة حيّة ، ولكنّ المبالغة المسْرفة من مثالب أسلوبه ، وهي مبالغةٌ تتضّح إذ يقول أيضاً :

وفارقتِ البيض الخَدورَ وأُبرزتْ عواطلَ حَسْرَى بعدَه لاتقنَّعُ (٤)

فقد خرجت النسوة - كما يقول - من بيوتهن سوافرَ قد أنساهنّ الحُزنْ أن يَتَقَنَّعْنَ ، وكأنه يريد إحياء صورة المرأة الجاهلية عندما كانت تُوْتَرُ بفقيد .

مقدرته على الخوض في الهجاء

كما كان العكوَّكُ يستطيع المَدحْ كان يستطيع الهَجْوَ أيضاً ، ويدلّ على ذلك أن أبا دلف نفسه قال للعكوّك يوماً وهو يداعبه : إنك تُحْسِنُ أن تمدح ، ولا تحسن أن تهجو ، فقال له الشاعر : الهَدْم أيسرُ من البناء ، وأردف قائلاً ، ليثبت ما ذكر :

---

(١) لم يعد للحياة بعده معنى ، وبكى عليه السَّخاء ، لأنه كان له صاحباً ، وابنُ السبيل لأنّه كان له مُسْعفاً .

(٢) وبموته أصابَ الأرق مَنْ يغمُرهم بعطائه ، فانقطع موردُه عنهم ، بينما ارتاح حاسدوه فناموا قريري الأعين .

(٣) لكنّ قدرَه نزل في يوم مماته ، وقضى عليه بالوفاة ، ولا بدّ لكلّ امرئٍ أن يشرب ذات يوم من مائه جُرعة ، ويذوق طعم المنيّة .

(٤) البيض : النساء . الخدور : البيوت . عواطل : خلعن زينتهن وحليّهن . حسرى : سوافر حاسرات عن رؤوسهن ووجوههن .

أبو دُلَفٍ كالـطَّبْل يذهبُ جَوْفُهُ   وباطنُه خِلْوٌ من الخير أخْرَبُ
أبا دُلَفٍ يا أكـذبَ الناسِ كلِّهمْ   سوايَ فإنّي في مديحِكَ أكْذَبُ

ولولا أنه هجاه ممازحة لَهدم كل مدائحه فيه .

واشتعل الرأس شيباً

للعكوَّك أشعار في عدّة أغراض غير المديح ، لكنّ المديح أهمّها ، فهـو – على الرغم من أنه كـان مكفوفـاً – يعرف كيـف يصـف ، فهـو يشبّه انحسار الشباب ، ومجيء الشيب بعده بأمل نضير يقضمه موتٌ مُبير :

كأنَّ حُسُـورَ الصِّبـا   عن الشَّيب حين اشتعلْ (١)
زهـا أمـلٍ مُـونَـقٍ   أطـلّ عـليـه أجـلْ (٢)

حـكـمـة

في الشباب حِدّة ، تحول في الشيخوخة حكمةً ورزانة ، وكـل مـن يولـد فهـو ميّت ، لأنه في طريق الموت ، ولابـدّ أن يمرّ بـه ، فكأنّمـا هـو مـن لـوازم الموْت ، وبضاعة من بضائعه ، ومثله كمثل السهم والهدف الذي يُصَوّب نحوه ، فليس يمسكه عنه إلاّ أن يحين وقت توجيهه إليه :

وأرى الليالي ماطوتْ من شِرّتي   ردّتْه في عظتي وفي أفهـامي (٣)
وعلمْتُ أنّ المرء مِنْ سنن الرَّدَى   حيث الرميَّةُ من سهامِ الرامي

إنّ مع العُسْر يُسْراً

إذا اشتدّت الملمّات ، وتراكمتْ أثقال الهموم ، فما أجملَ أن يعلّـل المرء نفسه بالآمال ، يرقُبها ، ألا وليعلم أنْ أوج الشدّة إنّما هو بداية الفرَج :

---

(١) حسور : انحسار . الصِّبا : الشباب .
(٢) زها : مقدار (مثل) مونق : نضير : أجل : موت . والبيتان من مجزوء المتقارب .
(٣) شِرّة : حِدّة .

عسى فرَجٌ يكون عسى نعلّلُ أنْفُسَا بعسَى
فلا تقنطْ إذا لاقيتَ - همّاً يقبضُ النَّفَسَا
فأقربُ ما يكونُ المرءُ - مِنْ فرَجٍ إذا أيِسَا

اليتيمة

القصيدة ((اليتيمة)) أو ((الدعديّة)) قصيدة مشهورة عند الذين يرتاحون للغزل والعشق والهوى ، وفيها شيء من الوصف الحسّي لجسم المرأة . وسبب تأليفها أنّ امرأة نجديّة بارعة الجمال اسمها دعد ، عزمتْ ألاّ تتزوّج إلا من فتىً يُرْضيها شعره ، فتقرّب إليها شعراء كثيرون ، فلم تُرضْها قصائدهم ، ونظم شاعر تهاميّ قصيدة وسار بها إليها ، فلقي في طريقه شاعراً آخر يقصدُ مقصِدَه ، فتناشدا قصيدتيهما ، وكانت قصيدة التهامي أبرعَ ، فقتله رفيقه ، وانتحل قصيدته ، وقدِم بها على الأميرة ، ولكنها أدركت من بعض القرائن في القصيدة نفسها أنّها ليست للذي أنشدَها بين يديها ، واعترف الشاعر بجريمته ، فأمرتْ بقتله .

واختلفوا في قائل القصيدة اليتيمة ، فقيل : هو جاهلي ، أو أموي ، وقيل هو عباسي . ونسبتْ إلى دَوْقلة المنبجي ، وإلى أبي الشّيص الخزاعي (اسمه محمد بن عبد الله بن رزين) ، وإلى كثيرين بلغ تعدادُهم الأربعين . ومن جُمْلة من نُسِبَتْ إليهم العكوّك علي بن جبلة . ومطلعها :

هل بالطُّلول لسائل رَدُّ أم هل لها بتكلّمٍ عَهْدُ (١)

خاتمة

مع أن العكوّك ليس مشهوراً في أواسط المثقّفين اليوم بأنه من كبار الشعراء العباسيين ، فإنه كان منهم ، وكان من أصحاب التجديد في المبنى والمعنى ، وطرق عدّة أبواب شعريّة .

---

(١) إن الطّلول لاتردّ على سائل ، وهل سبقَ أن تكلّمتْ حتى تردّ عليّ الآن ؟